{ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ – طه 133 }

ورد في تفسير الطبري :

[يقول تعالى ذكره : ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله، لقالوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك، فنتبع آياتك: يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به. كما حدثني الفضل بن إسحاق، قال: ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة، عن فضيل عن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخُدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " يَحْتَجُّ عَلى اللهِ يَوْمَ القيامَةِ ثَلاثَةٌ: الهَالِكُ فِي الفَتْرَةِ، والمَغْلُوبُ على عَقْلِه، والصَّبيُّ الصَّغيرُ، فَيَقُولُ المَغْلُوبُ عَلى عَقْلِهِ : لَمْ تَجْعَلْ لي عَقْلا أنْتَفِع بِهِ، وَيَقُولُ الهَالِكُ فِي الفتْرَةِ: لَمْ يأْتِني رَسُولٌ وَلا نَبيٌّ، ولَوْ أتانِي لَكَ رَسُولٌ أوْ نَبيّ لكُنْتُ أطْوَعَ خَلْقِكَ لَكَ وقرأ : (لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا) ويَقُولُ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ: كَنْتُ صَغِيرًا لا أعْقِلُ قال: فَتُرْفَعُ لَهُمْ نارٌ وَيُقالُ لَهُمْ: رِدُوها قال: فَيرِدُها مَنْ كَانَ فِي علْمِ اللهِ أنَّه سَعيدٌ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْها مَنْ كانَ فِي عِلْمِ اللهِ أنَّهُ شَقِيّ، فَيَقُولُ : إيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بِرُسُلي لَوْ أتَتْكُمْ؟ ". – تفسير الطبري] .

وفي تفسير التبيان للطبرسي :

[{ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه } حكاية عما قال الكفار للنبي (صلى الله عليه وسلم) هلا ياتينا بآية من ربه يريدون الآية التي يقترحونها، لأنه اتى بالآيات. ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب اليه. ومن قرأ - بالياء - حكى بأنهم قالوا فيما بينهم هلا

يأتينا بالمعجز. او دلالة تدل على صدق قوله، فقال الله لهم { أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى } يعني ألسنا بينا ذلك فى الكتب التي انزلناها على موسى وعيسى، فلم لم يؤمنوا بها ولم يصدقوا بها؟ ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب اليه، فقال الله تعالى لنبيه { قل } لهم يا محمد { كل متربص } اي كل واحد منا ومنكم متربص، فنحن نتربص بكم وعد الله لنا فيكم وانتم تتربصون بنا ان نموت، فتستريحوا { فستعلمون } اي سوف تعلمون فيما بعد { من أصحاب الصراط السوي } يعني الصراط المستقيم و (من) الذي { اهتدى } الى طريق الحق . و { من } يحتمل ان تكون نصباً إن كانت بمعنى الذي وان تكون رفعاً على طريقة الاستفهام. – التبيان الجامع لعلوم القرآن للطبرسي] .

البيان من تفسير البينة :

(وقالوا لولا)

هنا يبين تعالى حجج أبداها الكفار ومعاذير لعدم إيمانهم وهى :

1- طلبهم نزول ملك عليه ليؤمنوا به :

{ **وقالو لولا** نزل عليه ملك ولوأنزلنا ملكاً لقضى الامر ثم لا ينظرون – الانعام 8 }

2- طلبهم كلام الله تعالى معهم أويأتيهم بمعجزة حتى يؤمنوا :

{ **وقال** الذين كفروا **لولا** يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك **قال** الذين من قبلهم مثل **قولهم** – البقرة 118 }

3- طلبهم آيات معجزات كمعجزات صالح عليه السلام أو عصا موسى أو لآيات التي بعث بها نبي الله سليمان وغيرهم من أنبياء الله :

{ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا **قَالُوا لَوْلَا** أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ **قَالُوا** سِحْرَانِ تَظَاهَرَا **وَقَالُوا** إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ - القصص 48}

ثم يبين الله تعالى انه قادر على تنزيل أيات ولكنهم لا يعلمون قال تعالى { **وَقَالُوا لَوْلَا** نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ – الانعام 37 } ثم يقول تعالى لرسوله بأن يقول لهم بأنه نذير مبين لقوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا** أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ - العنكبوت50﴾ ثم يقول تعالى لهم ألم تأتهم بينه أنزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله قال تعالى فيها { **وَقَالُوا لَوْلَا** يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ - طه 133 }

وهذه الآيات التي طلبوها بين عز وجل أنها نوع من الآيات المعجزات ولن يرسلها الله تعالى مرة أخرى لكفر بني آدم بها من قبل لقوله تعالى

{ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا – الإسراء 59 }

ثم يبين تعالى أن هذا الكتاب فيه بصائر وهدى ورحمة لمن آمن بالله تعالى واتبعه عز وجل ورسوله لقوله تعالى

{ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ **قَالُوا لَوْلَا** اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ - الاعراف 203 } .

4- طلبهم كنز يبعث به رسول الله صلى الله عليه وآله ليؤمنوا به وبولاية أهل بيته عليهم السلام من بعده وهى بعض ما أنزل الله تعالى كما في قوله تعالى :

{ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن **يَقُولُوا لَوْلَا** أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ – هود 12 } . ولذلك يبين تعالى أن لكل قوم هاد مهدي قال تعالى فيهم { و**يَقُولُ** الَّذِينَ كَفَرُوا **لَوْلَا** أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ – الرعد 7 }

5- طلبهم تفصيل الآيات ليؤمنوا بها :

{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا **لَّقَالُوا لَوْلَا** فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ - فصلت 44 }

6- والحقيقة هى حسدهم على النبوة والرسالة المنزلة على الرسوله (صلى الله عليه وآله) من ربه لقوله تعالى عنهم :

{ **وقالوا لولا** نزل هذا القرآن على رجل من القريتيتن عظيم – الزخرف31}

ويبين تعالى دين الإسلام القائم على الحنيفية الإبراهيمية والوصية التي جعلها الله تعالى في عقب ذرية إبراهيم عليه السلام حتى آخر إمام يظهر في آخر الزمان في زمن صعود بني آدم إلى السماء بالمعارج التي يظهرون عليها آخر الزمان فينتقمون من المسلمين بها لقوله تعالى :

{ وَإِذْ **قَالَ** إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ **قَالُوا** هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ **وَقَالُوا لَوْلَا** نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عظيم أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ **وَلَوْلَا** أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ - الزخرف 26-34}

والمعارج هنا إسم فعل عرج يعرج معراجاً وهذا يحدث آخر الزمان الذي نحن فيه حيث يعرج الإنسان إلى السماء الأولى لورود هذا اللفظ في قوله تعالى { **وَلَوْ** فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ – الحجر 14-15 } وبالتالي هى رحله صعود الإنسان إلى السماء الأولى لورود هذا اللفظ في قوله تعالى ورد في قوله تعالى { تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } وبالتالي البينة هنا آخر الزمان في زمن المعارج

التي قال تعالى فيها هنا { **وَقَالُوا لَوْلَا** يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ – طه 133 }

وهنا الأولى عكسها آخرة لقوله تعالى { وإن لنا للآخرة والأولى} أي أن هناك بينة أول الزمان وآخر الزمان نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وبينها الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام كما في سورة البينة وبينة آخر الزمان آخرة قال تعالى فيهما { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ – البينة 5 } .

ثم يبين تعالى حال المؤمنين بالله تعالى ورسوله أنهم

1- حمدوا الله تعالى على هدايتهم لولاية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وأهل بيته عليهم السلام كما في قوله تعالى { و**قالوا** الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى **لولا** ان هدانا الله – الاعراف 43 } .

2- بين تعالى أنهم تعلموا دين الله تعالى حلاله وحرامه بوكالة منهم لطائفة من العلماء من أصحاب الأنساب الطاهرة والسمعة الطيبة لقوله تعالى { **فَلَوْلَا** نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ– التوبة 122 } .

3- بين تعالى أن هؤلاء بعد أن آمنوا وتعلموا دين الله تعالى أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كالمؤمنين من قبلهم وكان هذا هو أهم عوامل نصرهم وميراثهم الأرض بعد هلاك الظالمين وكما كان المؤمنين من قبل كذلك سيكونون آخر الزمان قال تعالى هنا : { **فَلَوْلَا** كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ

فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ **وَقُل** لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ - هود 116-120 }

وأما :

(**يَأْتِينَا** بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ **تَأْتِهِم** بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ)

- اللفظ أولاً يشير إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله كما في قوله عز وجل

{ وَمَا **آتَاكُمُ** الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ – الحشر 7 }

- ويشير أيضا اللفظ ثانياً يشير إلى النبي صلى الله عليه وآله لوروده في قوله تعالى :

{ ومبشراً برسول **يأتي** من بعدي اسمه أحمد – الصف 6 } وقوله تعالى في بيان معرفة أهل الكتاب للنبي كمعرفتهم لآبنائهم { الَّذِينَ **آتَيْنَاهُمُ** الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ – البقرة 146 }

- كما أن للفظ يشير ثالثاً للأئمة من أهل بيت النبي عليهم السلام لوروده في قوله تعالى :

{ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا **آتَاهُمُ** اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ **آتَيْنَا** آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ **وَآتَيْنَاهُم** مُّلْكًا عَظِيمًا – النساء 54 } وفي آية الأنعام أكثر وضوحاً في بيان أنهم الموكول إليهم مهمة هداية البشر لكفر غيرهم بهذه الدعوة وهم ذرية إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى :

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ **آتَيْنَاهُمُ** الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ - الانعام 89-90 } وبكل وضوح في آية النحل أنهم قربى رسول الله صلى الله عليه وآله أولاً قبل اي قربات أخرى لما أمر الله تعالى بمودتهم ولذلك أذهب الله تعالى عنهم الرحس وطهرهم تطهيرا وقال تعالى هنا { إن الله يأمر

بالعدل والإحسان **وإيتاء** ذي القربى و ينهى عن الفحشاءوالمنكر والبغي – النحل 90 } وهم الأئمة أيضاً لورود هذا اللفظ في قوله تعالى { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ **وَإِيتَاءَ** الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ – الانبياء 73 } .

وهؤلاء الكتاب والرسول والعترة النبوية الطاهرة رفضتهم قريش ومازلت ذريتهم من المنافقين ترفض تأويل اي آيات من كتاب الله فيهم كأنهم يريدون ديناً على أهوائهم فقال سلفهم في :

طلب آيات معجزات وفق أهوائهم :

هنا يبين تعالى أن الكفار جميعا يطلبون منهم حسداً أن يؤتوا مثل ماآتاهم الله تعالى من وحي وفضل وكرامة في الدنيا حسداً من عند أنفسهم :

قال تعالى { وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ **نُؤْتَى** مِثْلَ مَا **أُوتِيَ** رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ – الانعام 124 } وهنا يبين تعالى أن الآيات بيد الله وليست وفق أهواء أي مخلوق قال تعالى { وما كان لرسول أن **يأتى** بآية إلا بإذن الله – غافر 78 }

ثم يبين تعالى استهزائهم بالرسول صلى الله عليه وآله :

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ وَمَا **يَأْتِيهِم** مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ – الحجر 10 -15 }

وفي الحقيقة يبين تعالى أنهم طلاب دنيا قال تعالى فيها :

{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا **نُؤْتِهِ** مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - الشورى 20-21 }

وأما عن خلفهم المنافق وتأولاتهم الباطلة التي دخلوا بها الإسلام وهم قد خرجوا بها منه على وجه الحقيقة

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ **يَأْتُوكَ** ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ **أُوتِيتُمْ** هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ **تُؤْتَوْهُ** فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ – المائدة 41 }

ويبين تعالى أنه عز وجل ما آتاهم غير القرآن الكريم ليدرسوه ويتعلموا أحكامه وليس أهواء واراء الرجال كما في قوله تعالى { وَمَا **آتَيْنَاهُم** مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ - سبأ 44 }

وجاء الخلف ليسير على طريق طلب الدنيا والإستمتاع بها دون أداء حق الله تعالى فيها كما في قوله تعالى

{ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن **يَأْتِهِمْ** عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ - الأعراف 169 } ويبين تعالى أنهم ما طلبوا دنيا إلا بإعراضهم عن ذكر الله تعالى كما في قوله عز وجل { بَلْ **أَتَيْنَاهُمْ** بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ – المؤمنون 71 }

وهنا يأتي العقاب الإلهي لهم في عذابين الأول قريب والثاني آخر الزمان

العقاب الإلهي :

أولا : قريب قال تعالى فيه :

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ – الرعد 31 } وهناك عذاب بخر آخر الزمان استعجلوه في قوله تعالى {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ – العنكبوت 53}

وهنا بين تعالى أنه عذاب له أجل ولولا هذا الأجل لنزل بهم عقاب الله تعالى الأخير ويبدأ هذا العقاب آخر الزمان على ثلاث مراحل

أولا :

ظهورتأويل للقرآن يجهله الناس وقد كان متأصلاً فيهم لقوله تعالى { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ – يونس 39 } ولكنهم نسوه مع طول الزمن وانتشار مدرسة الرأي لذلك قال تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إلّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنا مِن شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أنْفُسَهم وضَلَّ عَنْهم ما كانُوا يَفْتَرُونَ- الاعراف 53 } وهذه هى بينة الصحف الآخرة لأنه قال تعالى في بينة الصحف الأولى هنا { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ – طه 133 } وطالما سمعت في القرآن أولى فيكون هناك آخرة .

ثانياً :

جنود ولاية الله الحق الذين تولوا الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام :

قال تعالى :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ – المائدة 54-56 }

وهؤلاء هم ذرية رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله وورسوله وهو الإمام علي عليه السلام لحديث الراية :

[روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: أخبرني سهيل بن سعد رضي لله عنه، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدركون أيهم يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى فبصق رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال:أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم - صحيح البخاري ٦ / ١٧١] .

وفي رواية [عن سلمة رضي الله عنه قال : كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، في خيبر، وكان رمدا، فقال: أنا أتخلف عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، فلحق ، فلما بتنا الليلة التي فتحت، قال: لأعطين الراية غدا - أو ليأخذ الراية غدا - رجل يحبه الله ورسوله، يفتح عليه، فنحن نرجوها، فقيل : هذا علي، فأعطاه ففتح عليه - صحيح البخاري ٦ / ص 171، صحيح مسلم 15 / 177 – 178] .

[وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب (لقب للإمام علي) فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله، خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليا، فأتي به أرمد،

فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ولما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم)، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ، عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي - صحيح مسلم 15 / 175 - 176] .

وفي رواية [عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، علي بن أبي طالب فأعطاه إياها، وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي شيئا، ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله: على ماذا أقاتل الناس، قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله - صحيح مسلم 15 / 176 - 177، وانظر روايات أخرى 15 / 77 – 179]

[وروى النسائي في الخصائص بسنده عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه: أن سعدا قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله،ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله بيده، فاستشرف لها أصحابه فدفعها إلى علي - النسائي: تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - تهذيب وترتيب كمال يوسف الحوت ص 20 - 21 (بيروت 1983)] .

وفي رواية : [عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال لعلي - وكان يسير معه - إن الناس قد أنكروا منك شيئا، تخرج في البرد في الملاءتين، وتخرج في الحر في الخشن والثوب الغليظ، فقال لم تكن معنا في خيبر، قال: بلى، قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر، وعقد له لواء، فرجع، وبعث عمر، وعقد له لواء فرجع، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار، فأرسل إلي، وأنا أرمد، فتفل في عيني،

فقال:اللهم أكفه أذى الحر والبرد، قال: ما وجدت حرا بعد ذلك، ولا بردا - تهذيب الخصائص ص 21]

وفي رواية : [عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة يقول: حاصرنا خيبر، فأخذ الراية أبو بكر، ولم يفتح له، فأخذها من الغد عمر، فانصرف ولم يفتح له، وأصاب الناس شدة وجهد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، إني دافع لوائي غدا إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غدا، فلما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، صلى الغداة، ثم جاء قائما، ورمى اللواء، والناس على أقصافهم، فما منا إنسان له منزلة عند الرسول (صلى الله عليه وآله) ، إلا وهو يرجو أن يكون صاحب اللواء، فدعا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو أرمد، فتفل ومسح في عينيه، فدفع إليه اللواء وفتح الله عليه - تهذيب الخصائص ص 21 – 22] .

وفي رواية [عن بريدة الأسلمي قال: لما كان يوم خيبر، نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بحصن أهل خيبر، أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللواء عمر، فنهض فيه من نهض من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما كان من الغد تصادر أبو بكر وعمر، فدعا عليا، وهو أرمد، فتفل في عينيه ونهض معه من الناس من نهض، فلقي أهل خيبر، فإذا مرحب يرتجز:
قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب إذا الليوث أقبلت تلهب * أطعن أحيانا وحينا أضرب فاختلف هو وعلي ضربتين، فضربه علي على هامته حتى مضى السيف منها، منتهى رأسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تنام آخر الناس مع علي، حتى فتح لأولهم - تهذيب الخصائص ص 22 - 23]

وفي رواية عن [أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لأدفعن الراية اليوم إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فتطاول القوم، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقالوا: يشكي عينيه، قال فبصق نبي الله في كفيه، ومسح بهما عيني علي، ودفع إليه الراية، ففتح الله على يديه - تهذيب الخصائص ص 24 .]

ومن هنا يتبين لنا أن الذين قال تعالى فيهم { يحبهم ويحبونه} هم السادة الأشراف من ذرية الإمام علي ومن تابعهم وناصرهم وشايعهم ومن هنا سر كراهية صنديد الكفر لهم في كل زمان لأ، زوال ملكهم ونزول البلاء أو البركة يكون هؤلاء هم السبب المباشر لنزول الرحمة أو العذاب . ولذلك يقول الامام الباقر (عليه السلام) : [نحن أهل بيت ماقاتلنا بيت إلا خرب ولا كلب إلا جرب ومن لم يصدق فليجرب ... الحديث و له حكم المرفوع – بحار الأنوار ج 107 ص 31]

و [عن الإمام زيد الشهيد أنه قال: سمعت أخي الباقر (عليه السلام) يقول: سمعت أبي زين العابدين يقول:سمعت أبي الحسين يقول: سمعت أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: نحن بنو عبد المطلب ما عادانا بيت إلا وقد خرب، ولا عاوانا كلب إلا وقد جرب، ومن لم يصدق فليجرب- كتاب زيد بن علي :ص 100 نقلا من وقائع الأيام (الصيام) ص 88] .

ثالثاً :

نزول العذاب بنزول ملائكة قال تعالى فيهم

{هلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ - الانعام 158 }

وهذه كلها وعود من الله تبارك و تعالى عن الساعة لايؤمنون بها ولا يصدقها أكثر الناس لقوله تعالى { إن الساعة آتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون – غافر 59 } .

ثالثاً : نزول العذاب بنزول ملائكة قال تعالى فيهم

{هلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن **تَأْتِيَهُمُ** الْمَلَائِكَةُ أَوْ **يَأْتِيَ** رَبُّكَ أَوْ **يَأْتِيَ** بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ **يَأْتِي** بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ - الانعام 158 }

وهذه كلها وعود من الله تبارك و تعالى عن الساعة لايؤمنون بها ولا يصدقها أكثر الناس لقوله تعالى { إن الساعة **آتية** لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون – غافر 59 } .

وماهم بمعجزين لقوله تعالى { إن ما توعدون **لآت** وما أنتم بمعجزين – الانعام 134 } وهذه وعود آتية وعد الله تعالى بها ووعده حق لقوله عز وجل { إن وعده **مأتيا** - مريم61 }

ولاحظ هنا

كل كلمة تؤدي إلى نفس مراد الله تعالى في سابقتها كأنه حبل مترابط حروفه وبكلماته وبآياته لا اختلاف بينها كما في قوله تعالى { أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا- النساء }

وأما :

(آيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ)

بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله ليتلوا عليهم كتاب الله تعالى :

قال تعالى :

{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ **آيَاتِكَ** وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ – البقرة 129 }

كفرهم بآيات الله المتلوة المنزلة على رسول الله وطلبهم آيات معجزات لتعجيزه صلى الله عليه وآله :

الآية التي طلبوها هنا معجزة وذلك لأنهم رفضوا الآيات المتلوة التي أنزلت عليه صلى الله عليه وآله وقال تعالى فيها { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ – البقرة 252 } وهنا طلبوا منه آيات معجزات كناقة نبي الله صالحل فيه السلام التي قال تعالى فيها { هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل أرض الله – الاعراف 73 } وهذه الآيات المعجزات توقفت ومنعها الله تعالى بنزول ان الكريم لكفر الأمم من قبل بها لقوله تعالى في هذا النوع من الآيات المعجزات { وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا – الاسراء 59 }

ومن آيات الله تعالى المنزلة على رسوله وفيها المعجزة الربانية فكفروا بها لقوله تعالى { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ – الاخقاف 7 } حتى ولو رأوا آيات الله تعالى سيقولون سحرو مستمر لقوله تعالى { وإن يروا آية يقولوا سحرو مستمر – القمر 2 } .

واما المنافقين طلاب الدنيا قالوا ايهما يجزل العطاء كما في قوله تعالى { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا – مريم 73}

رفضهم آيات الله واستكبارهم في الأرض

{ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ – سبأ 43 }

خلف يجادل بالباطل :

{ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ – الانعام 68 }

عذاب اخر الزمان :

بعثة رسول او إمام لإقامة الحجة على الأمة :

قال تعالى :

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ **آيَاتِنَا** ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ – القصص 59 } ولذلك يقول تعالى { وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا – الإسراء 15 }

بغضهم لكل من تلى عليهم كتاب الله تعالى :

{ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ **آيَاتُنَا** بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ **آيَاتِنَا** ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ – الحج 72 }

وهؤلاء الويل لهم كما في قوله تعالى { وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ **آيَاتِ** اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ **آيَاتِنَا** شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ – الجاثية 7-9 }

وهنا أنذرهم الله تعالى بصاعقة في آخر الزمان قال تعالى فيها :

{ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا **بِآيَاتِنَا** يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ

الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ – فصلت 13-17 }

ويكون هذا العذاب في زمان يبين الله تعالى لهم فيه آياته لخلقه في الآفاق لقوله تعالى

{ سنريهم **آياتنا** في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد – فصلت 53 }

{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ **آيَاتِ** رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ – الأنعام 158 }.

وهنا بعض آيات ربك بينة آخر الزمان المتلوة من كتاب الله تعالى كما قلنا لانتفاء الآيات المعجزات وكفر الأمم بها قبل البعثة المحمدية الخاتمة للنبوة قال تعالى هنا { { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا **بِآيَةٍ** مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ – طه 133 }

وأما :

(من ربه)

نفس المعاني السابقة تؤكدها هذه الكلمات من كتاب الله تعالى كقولهم

{ وقالوا لولا يأتينا بآية **من ربه** أولم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى – طه 133 }

وقولهم { وقالوا لولا نزل عليه آية **من ربه** فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين – يونس 20 }

ثم يبين تعالى أن هذه الكلمات المنزلة من عند الله تعالى آمن بها النبي وكل الأنبياء من قبل كما في قوله تعالى : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ **مِنْ رَبِّهِ** وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ **رَبَّنَا** وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ – البقرة 285 }

وهذه الآيات المنزلة على رسوله صلى الله عليه وآله فيها موعظة منه تعالى لقوله عز وجل { فمن جائه موعظة **من ربه** فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله – البقرة 275 }

ويبين تعالى أنهم إن أرادوا التوبة فليقولوا لا إه إلا أنت سبحانك إن كنت من الظالمين) أو يقولون (ربنا ظلمنا أنفسنا) أو يقولون (بحق سيدنا محمد وآل سيدنا محمد أن تغفر لنا) وذلك لما ورد في قوله تعالى { فتلقى آدم **من ربه** كلمات فتاب عليه – البقرة 37 }

ورد في تفسير البرهان : ["لا إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسي فاغفر لي و أنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسي فاغفر لي و ارحمني و أنت خير الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم .

- قال الكليني: و في رواية أخرى: في قوله عز و جل : { فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ } قال: " سأله بحق محمد و علي و الحسن و الحسين و فاطمة (صلى الله عليهم) – تفسير البرهان ج2 ص 417] .

وفي تفسير الطبري :

[حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: { فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ } الآية، قال: لقاهما هذه الآية : (رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ)الأعراف: 23] .

وفي هذه الآيات تبين أن الشاهد على هذه الرسالة بعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله هو الإمام علي عليه السلام لما نزل فيه من قوله تعالى { أفمن كان على بينة **من ربه** ويتلوه شاهد منه – يونس 17 }

ويحذر الله تعالى الناس من اقتراب حسابهم فالأعمار قصيرة والزمن ليس بالطويل فكل عمر الدنيا كيوم أو ساعة من نهار قال تعالى { ويوم قسم المجرمون مالبثوا غير ساعة } لذلك قال تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مُّحْدَثٍ من ربهم إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ –الأنبياء 1-3}

وفي التفاسير وأسباب النزول :

[عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن ، فقال له رجل : ما نزل فيك؟ قال : أما تقرأ سورة هود (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) – تفسير الدر المنثور للسيوطي ج4 ص409-410 وعزاه الى ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة.]

[عن زاذان ، قال : سمعت علياً (عليه السلام) يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما من قريش رجل جرت عليه المواسي إلا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى جنة أو آية تسوقه إلى نار ، فقام رجل فقال : ما آيتك يا أمير المؤمنين التي نزلت فيك؟ قال : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج 1 ص 367-368 حديث 386]

[أخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في «المعرفة «عن علي بن أبي طالب قال : ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن ، فقال له رجل : ما نزل فيك قال : أما تقرأ سورة هود (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) رسول الله صلى الله عليه وسلم على بينة من ربه وأنا شاهد منه.

وأخرج ابن مردويه ، وابن عساكر عن علي في الآية قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم على بينة من ربه وأنا شاهد منه.

وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) :أفمن كان على بينة من ربه (أنا) ويتلوه شاهد منه : (علي).]

[عن الأصبغ بن نباتة ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): واله ما نزلت آية في كتاب الله ، في ليل أو نهار ، إلا وقد علمت في من أنزلت ، ولا مر على رأسه المواسي إلا و قد أنزلت عليه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو الى النار ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، ما الآية التي نزلت فيك؟ قال له : أما سمعت الله يقول : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) - بصائر الدرجات: 133] .

وكذلك قوله تعالى :{ ويقولو الذين كفروا لولا أنزل عليه آية **من ربه** إنما أنت منذر ولكل قوم هاد – الرعد 7 } تشير لإمامة أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام في كل زمن وأولهم الإمام علي وآخرهم المهدي عليهم السلام ولذلك في التفاسير :

[عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت : (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال : وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده على صدره ، وقال : " أنا المنذر ، ولكل قوم هاد " . وأومأ بيده إلى منكب علي ، فقال : " أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون من بعدي " . وهذا الحديث فيه نكارة شديدة . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المطلب بن زياد ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي : (ولكل قوم هاد) قال : الهادي : رجل من بني هاشم . قال الجنيد هو علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس ، في إحدى الروايات ، وعن أبي جعفر محمد بن علي ، نحو ذلك - تفسير ابن كثير] .

ومن خرج على هذه البينة هل يستوي مع الذين زين الشيطان أعمالهم وهل يساويهم الله تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى : { أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ **مِّن رَّبِّهِ** كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم – محمد 14 } ومن آمن ب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه ثم تولى أهل بيته عليهم السلام وأولهم الإمام علي عليه السلام فهو الذي شرح الله صدره للإسلام كما في قوله تعالى { أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ **مِّن رَّبِّهِ** ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ – الزمر 22 }

والويل هنا للقاسة قولهم من الذين قالوا {.. لولا نزل عليه آية **من ربه** فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين – يونس 20 } وهنا انتظروا اي نزول عذاب الله تعالى والبداية تكون ببروز صحف وبينة الآخرة لقوله تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ **مِّن رَّبِّهِ** ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ – طه 133 } .

وأما :

(أولم)

وهنا يبين تعالى أنهم لما قالوا { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ **أَوَلَمْ** تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ – طه 133 }

هنا يقول تعالى لهم { **أَوَلَمْ** يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ - العنكبوت 51 }

ولما قالوا على النبي صلى الله عليه وآله أنه مجنون لعنهم الله هنا قال تعالى فيهم { **أَوَلَمْ** يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ - الاعراف 184 } ثم يعظهم الله عز وجل قائلاً ألا يخشون أن يصيبهم الله تعالى بذنوبهم كما في قوله تعالى { **أَوَلَمْ** يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ - الاعراف 100 } وهذا العذاب منه القريب من نهاية آجالهم كما في قوله تعالى : { **أَوَلَمْ** يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ - الاعراف 185 } وهنا يبين تعالى إذا نزل بهم العذاب فقضى الله تعالى عليهم سيقولوا لولا أخرتنا إلى أجل قريب ونسوا ما قالوه في الدنيا أنهم مالهم من زوال قال تعالى : { وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ **أَوَلَمْ** تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ - ابراهيم 44 }

ثم يبين تعالى عذراً قدموه للنبي صلى الله عليه وآله وهو خوفهم من بطش بقية القبائل بهم إن آمنوا بالله في قوله تعالى { وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ

أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ - القصص 57 }

ثم يذكرهم الله تعالى أنه أهلك الأمم من قبل وأورثها إياهم فأصبحوا يمشون في مساكنهم أفلا يؤمون بأنهم زائلون وعليهم أن يؤمنوا بالله تعالى ورسوله ويتولوا أهل بيته ليموتوا على الإسلام ويأتوا إلى الله تعالى ولهم الأمن منعقابه عز وجل قال تعالى :{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ - السجدة 26}

ثم يبين تعالى أنهم إن لم يؤمنوا فسيعذبهم عذاباً قريباً كما بينا حتى يظلهم زمان عذاب الآخرة وله علامات :

الأولى :

اكتشاف الإنسان لآيات في السماء ومعجزة الخالق فيها بصعودهم إلى السماء الأولى لقوله تعالى { لتركبن طبقاً عن طبق } وقوله تعالى { ولوأنا فتحنا عليهم باباً من السماء فظللوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون} و لذلك قال تعالى فيما سيرونه من آيات معجزات على أنه الخالق سبحانه وتعالى :

{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ - فصلت 53 }

ثانياً :

علامة أخرى على هلاكهم وهو أعاصير تبدأ من أقصى شرق الأرض وغربها تخفي لأرض اليابسة في البحر أي نقصان ماحة اليابسة من الأرض واختفاؤها في البحر لقوله تعالى :

{ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ - الرعد 41-42 }

وهنا يكون قد أظلهم زمان نزول العذاب الآخر لكل من كفر بالله تعالى ورسوله .

وأما :

(تأتهم)

بيناها من قبل بنفس الاية الكريمة .

وأما :

(بينة)

[وبان الشيئ يبين بيانا :اتضح فهو بين وهى بينة وجمعها بينات وتستعمل البينة فيما يبين الشيئ ويوضحه حسياً كان الشيئ أو عقلياً – معجم الفاظ القرآن باب الباء فصل الياء والنون]

الحسي كقوله تعالى { ولقد تركنا منها آية **بينة** لقوم يعقلون – العنكبوت 35 } وقال تعالى { لولا يأتون عليهم بسلطان **بين** فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا – الكهف 15 }

وقوله تعالى { سنريهم آياتنا في الآفاق حتى **يتبين** لهم أنه الحق – فصلت 53 }

والعقلي كقوله تعالى { فلما **تبين** له أنه عدو لله تبرأ منه – التوبة 114 }

وكلا البيانين الحسي والعقلي في بيان الله تبارك وتعالى لكتابه الكريم لعل الناس يتقون و يتذكرون و يهتدون

لقوله تعالى { كذلك **يبين** الله آياته للناس لعلهم يتقون – البقرة 187}

{ **ويبين** آياته للناس لعلهم يتذكرون – البقرة 221}

{ كذلك **يبين** الله لكم آياته لعلكم تهتدون – آل عمران 103 }

[وبين الشيئ تبييناً : وضح وظهر وبينت الشيئ أوضحته وأظهرته فهو لازم ومتعد وإسم الفاعل منه مبين وهى مبينة وهن مبينات – معجم الفاظ القرآن باب الباء فصل الياء والنون] .

قال تعالى في بيانه عز وجل لكتابه الكريم { قد **بينا** الآيات لقوم يوقنون – البقرة 118} وحيث أن الله تعالى بين كتابه الكريم بكتابه كما في قوله تعالى {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا **بيانه**- القيامة } فالله تبارك وتعالى الموكول له عزوجل بيان كتابه الكريم كما قال علماء التفسير [ماأجمل في موضع فقد فصل في آخر] ومن كتم

هذا البيان فقد لعنه الله تعالى كما في قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ **الْبَيِّنَاتِ** وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا **بَيَّنَّاهُ** لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ – البقرة 159 }

ولذلك يبين تعالى أن رسل الله قد جاءت بالبينات كما في قوله تعالى

عن نبي الله صالح عليه السلام { وإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم **بَيِّنَةٌ** مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ – الأعراف 73 }.

ويقول تعالى عن نبي الله يوسف عليه السلام { ولقد جائكم يوسف من قبل **بالبينات** – غافر 34}

ويقول تعالى عن نبي الله شعيباً عليه السلام والبينة المنزلة عليه { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم **بَيِّنَةٌ** مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ –الأعراف 85} .

ويقول تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام والآيات البينات الحسية السبعة التي وهبها الله تعالى له عليه السلام { قد جئتكم **ببينة** من ربكم فارسل معى بني إسرائيل – الأعراف 105 } وقال تعالى أيضاً فيه عليه السلام والبينات التي ارسله تعالى بها إلى بني إسرائيل { ولقد جائكم موسى **بالبينات** ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون – البقرة 92 } .

{ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم **بَيِّنَةٌ** مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ – الأنعام 154-157 }.

ولما تكلم القرآن الكريم عن نبي الله عيسى عليه السلام قال تعالى { وآتينا عيسى ابن مريم **البينات** وأيدناه بروح القدس – البقرة 87} ثم بين تعالى أن نبي الله عيسى عليه السلام سيبين لهم بعض ما أنزل إليه وهو صحف كل الأنبياء من قبله باستثناء القرآن الكريم الكتاب الخاتم الذي سينزل على نبي الله الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وبله ولذلك يقول في موضع آخر أنه سيبين لهم بعض الذي أنزل إليه والبعض الآخر في القرآن الكريم الذي سينزل في آخر الزمان على نبي الله محمد صلى الله عليه وآله قال تعالى لذلك { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ **بِالْبَيِّنَاتِ** قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ **وَلِأُبَيِّنَ** لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ – الزخرف 63 } .

ولذلك قال تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وآله سيبين لأهل الكتاب كثيراً مما أخفاه علمائهم واختلفوا فيه كما في قوله تعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا **يُبَيِّنُ** لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ – المائدة 15 } .

وهنا نكون قد وصلنا بينة ما في الصحف الأولى التي قال تعالى فيها {إن هذا لفي الصحف الأولى صحف غبراهيم وموسى } وكل هذه الصحف جمعها الله تعالى في القرآن الكريم المهيمن على الكتب من قبله قال تعالى في بينات الصحف الأولى : { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم **بَيِّنَةُ** مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ – طه 133 } .

أي أن هناك بينة للصحف الآخرة وهو القرآن الكريم الذي بين أيدينا .

وهذه البينة كما بينا الموكول بها الله تعالى لقوله عز وجل {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا **بيانه**- القيامة } ثم رسول الله صلى الله عليه وآله يبي للناس مانزل إليهم من كتاب ربهم لقوله تعالى { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ – إبراهيم 4 } وقال تعالى في سيدنا محمد صلى الله عليه وآله { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ **بِالْبَيِّنَاتِ** وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ **لِتُبَيِّنَ** لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ – النحل 43-44} .

وهذه البينة شاهد عليها الإمام علي من رسول الله ومن نفسه لقوله تعالى { أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ – هود 17 } . وهذه الآية نزلت في الإمام علي عليه السلام :

[أورد السيوطي في تفسيره الدرر المنثور بالجزء الثالث : أخرج إبن أبى حاتم وإبن مردويه وأبو نعيم في المعرفة ، عن علي بن أبى طالب قال : ما من رجل من قريش إلاّ نزل فيه طائفة من القرآن ، فقال له رجل : ما نزل فيك قال : أما تقرأ سورة هود : أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ، رسول الله (صل الله عليه واله): على بينة من ربه ، وأنا : شاهد منه. وأخرج إبن مردويه وإبن عساكر ، عن علي في الآية ، قال : رسول الله : على بينة من ربه ، وإنا شاهد منه. – تفسير الدر المنثور للسيوطي وتفسير فتح القدير للشوكاني وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني] .

وهذه البينة من الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام الذين بلغوا الأمة مراد الله تعالى ورسوله من آياته حتى قال رسول الله صلى الله عليه وبله أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها 0000 الحديث] ولذلك حذر الله تعالى من الخروج على هذه البينة كما في قوله تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ - آل عمران 105}.

ويبين تعالى أن الأمم دائما تجادل في هذه البينات فرحاً بما لديهم من علوم أخرى متوارثة من آراء وأهواء واختلافات قال تعالى لذلك { فلما جائتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم – غافر 83 } .

وهنا يكونوا قد كتبوا الهلاك على أنفسهم فكما أهلك الله تعالى الأمم الأولى لكفرهم ببينة الصحف الأولى في قوله تعالى { أولم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى – طه 133 } فهذا يعني أن هناك بينة للصحف الآخرة لأن كل لفظ أول في القرآن عكسه آخر فقال تعالى عن أسمائه الحسنة { هو الأول والآخر – الحشر } وبينة الزمن الآخر هنا بينة لكتاب الله تعالى فيها هلاك الظالمين نزل بها الروح الأمين على قلب

رسول الله صلى الله عليه وبله ليكون من المنذرين قال تعالى { نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين } وهذا الكتاب له بينة قال فيها صلى الله عليه وآله [" أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها "] ... الحديث وهذه البينة ستظهر آخر الزمان لقوله تعالى متوعداً الكفار والمنافقين { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ – البينة } ومعلوم من أسباب النزول أن خير البرية قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله [" هم أنت ياعلي وشيعتك هم الفائزون" – راجع تفسير الدر المنثور للسيوطي] .

وحيث أن هناك أولى كما في قوله تعالى {وأنه أهلك عاداً الأولى } فيكون هناك عاد الثانية ومن سيقلدهم في جرائمهم والثانية ... والآخرة وكذلك كما أن هناك ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى – الاحزاب} فيكون هناك الآخرة وكذلك الصحف الأولى هناك صحف الآخرة وهى بيان القرآن بالقرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وبمرجعية أهل بيت النبي وباب مدينة العلم وهذه هى الكتب القيمة التي فيها بينة كتاب الله الخاتم المنزل على نبي الله الخاتم (صلى الله عليه وآله) ويكون ظهورها متواكباً وهلاك الظالمين .

وأما :

(مافي)

وردت هذه الآيات في قوله تعالى { ولله **مافي** السماوات و**مافي** الأرض –النساء 13 } هذا الإله الخالق هو الذي أنزل الصحف والكتب على أنبياء الله تعالى كما في قوله تعالى هنا { أولم تأتهم بينة **مافي** الصحف الأولى - طه 133 } .

وأما :

(الصحف الأولى)

[الصحيف : وجه الأرض والصحيفة المبسوط من الشيئ كصحيفة الوجه زمن ذلك الصحيفة التي يكتب فيها وجمعها صحائف والمصحف : ماجعل جامعاً للصحف المكتوبة – معجم الفاظ القرآن باب الصاد فصل الحاء والفاء] .قال تعالى { بل يريد كل امرئ منهم يؤتى **صحفاً** منشره – المدثر 52 }

وهذه الصحف هى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام الوارد ذكرهم في قوله تعالى { فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِن هَٰذَا لَفِي **الصحف الأولى صحف** إبراهيم وموسى – الاعلى 8-19 }

وأما :

(الأولى)

ورد لفظ أولى وأول وأولين على اعتبار كلمة أول مصدرها وجذرها

في قوله تعالى :

مبيناً أن هناك جاهلية أولى في قوله تعالى { وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى – الاحزاب 33 } أي أن هناك جاهلية آخرة وكما أن هناك أول الأمم وقال فيهم { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ **الْأُولَى** بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ – القصص 43 } أي أن هناك قرون آخرة قال تعالى فيهم { قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ **لِأُولَاهُمْ** رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ **أُولَاهُمْ** لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ – الاعراف 38-39 } وهؤلاء الآخرين قال تعالى في هلاكهم { ألم نهلك **الأولين** ثم نتبعهم الآخرين – المرسلات 16-17 } وفي زمانهم يكون الوعد الآخر لبني إسرائيل الذي

قال تعالى فيه { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ **أُولَاهُمَا** بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ **أَوَّلَ** مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا – الاسراء 5-7 }

وفي زمانهم تكون هناك أمتان واحدة تتشبه تقلد قوم عاد وأخرى تقلد قوم ثمود في قتل ذرية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لقوله تعالى { وأنه أهلك عاداً **الأولى** وثمود فما أبقى – النجم 50-51 } أي أنه كما أن هناك عاد وثمود الأولى ستظهر أمم تقلدهم آخر الزمان .

ثم يبين تعالى أن سنته في كل زمن هلاك الظالمين فهل ينتظر هؤلاء هلاكهم كما أهلك تعالى الأمم من قبل قال تعالى {اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إلا سُنَّتَ **الْأَوَّلِينَ** ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا – فاطر 43-44 }

ثم يبين تعالى أن بداية هلاكهم بحجة الله تعالى التي يأتي بها إمام آخر الزمان وفيها بينة الصحف الأولى آخر الزمان لقوله تعالى هنا { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ **الْأُولَىٰ** – طه 133 }

وأخيراً لاحظ هنا كل كلمة تؤدي لنفس مراد الله تعالى في سابقتها كأنه حبل مترابط حروفه وكلماته وآياته التي لا اختلاف بينها كما في قوله تعالى { أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا- النساء }

هذا وبالله التوفيق وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

خالد محيي الدين الحليبي